

القرآن الكريم بين يدي "t. Welch Alford". نقد في النص والمنهج.
The Qur'an in Alforb Walsh Criticism in Text and Methodology

د. نبيل زيانبي،*، جامعة الطارف، الجزائر.

ziani111@yahoo.fr

تاريخ التسليم: (2018/11/05)، تاريخ المراجعة: (2019/03/28)، تاريخ القبول: (2019/04/12)

Abstract

Some of us are looking at European and American academics that they are adhering to the exact methodology. We will know their correctness through the definition of the Holy Quran by Alford Walsh in the Encyclopedia of the Islamic Knowledge Department

Keywords : The Qur'an , Alforb Walsh, Criticism, Methodology

الملخص

ينظر الكثير للأكاديميين الغربيين بنوع من الإعجاب لما يشاع عنهم من التحلي بالموضوعية وسلامة المنهج في أبحاثهم، فما مدى دقة هذه الصفات؟ وإذا كانت الموضوعية ودقة المنهج يبرزان فيما يحكم به الباحث على مخالفه في الرأي، فإننا سنطبق اختبارهما على ما يحكم به الأكاديميون الغربيون على القرآن الكريم وتاريخه بمنهج تحليلي نقدي، وهذا ما وصلنا به إلى عكس تلك النظرة السائدة.
الكلمات المفتاحية: قرآن، ألفورد وولش، نقد، منهج.

*المؤلف المراسل: د.نبيل زيانبي، الإيميل: ziani111@yahoo.fr

مقدمة:

عندما نكون لأي كاتب سمعة أكاديمية متخصصة ويكتب في موسوعة هي الأكبر تاريخيا على الإطلاق، هذا يعني تأثيره قوي على القارئ لكتابه، وإذا تعلق الأمر بموضوع عن القرآن الكريم وتضمن خطأ ما ويكون قارئه غريبا، فإن فداحة النتائج على المستوى الفكري والنفسي لهذا القارئ لا يتردد المعنيون بها من أهل القرآن الكريم في النهوض لها بالمعالجة والتصويب، هذا ما دعانا لكتابة هذا المقال عن الأخطاء التي وقع فيها "ألفورد وولش" في تعريفه للقرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية، وسوف لن نتوقف في تحديد هذه الأخطاء والجواب عنها فحسب، بل سنجعل منها مرآة تعكس لنا الألوان المنهجية الكامنة في عقل هذا الكاتب ومن ثم تقييمه بما يتناسب مع منهجه الفكري.

المحور الأول : بين يدي الموضوع.

_ تعريف دائرة المعارف الإسلامية:

تواجه كثير من الأكاديميين الغربيين إلى دراسة الحضارة الإسلامية ونقل تفاصيلها إلى طلابهم في مختلف الجامعات منذ نحو قرن ونصف، ثم عملوا على جمع أبحاثهم في مؤلف واحد على شكل موسوعة علمية موحدة (Encyclopedia) وأخذوا قرارا بذلك في المؤتمر العاشر للاستشرق المنعقد في مدينة جنيف بسويسرا عام 1894م، وأشرف على هذا العمل جماعة من عمالقة المستشرقين منهم: الألمانيان هوتسما (Houtsma) وهو المشرف العام، وهارتمان (Hartmann) والإنجليزي أرنولد (Arnold) والفرنسي باسيه (Basset)، وصدرت لأول مرة سنة 1913م في أربعة مجلدات ضخمة بثلاث لغات هي الإنجليزية والألمانية والفرنسية، وظل كتاب هذه الدائرة يعتنق بالزيادة عليها وتنقيحها وتجديدها حتى الطبعة الثانية لها التي استمرت من سنة 1954م إلى سنة 1962م بتمويل عدة مؤسسات أوروبية وأمريكية (العقيقي، 1964، ص. 669/2)، وتوالت الطبعات والترجمات لهذه الموسوعة التي تنفذ أعدادها بسرعة، ومن أبرز طبعتها المترجمة للعربية طبعة حاكم الشارقة سلطان القاسمي بالتعاون مع الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1998م، وبالرغم من أن هذه النسخة تم اختصارها كثيرا إلا أنها صدرت في اثنين وثلاثين مجلدا (الشنتاوي، 198، ص. 1/ح).

ينحصر مجال هذه الدائرة في المعارف المتعلقة بناحية واحدة من المعرفة الإنسانية وهي تراث الإسلام وما يتصل به من أعلام وأماكن وعقائد وتشريعات ومصطلحات، واحتوت على أكثر من 9000 مادة علمية محل دراسة وتعريف من طرف مئات المستشرقين بأسلوب سهل ولغة سليمة إلى حد ما، تم ترتيبها أبجديا، وبعض هذه المواد تم التطرق له في عشرات الصفحات، كما أن معظمها كان محل اعتراض شديد من طرف علماء الإسلام ومفكره، ومن ذلك اعتراض صاحب المنار الإمام محمد رشيد رضا الذي قال: "هو معجم لفقهاء طائفة من علماء الإفرنج لخدمة ملتهم ودولهم المستعمرة لبلاد المسلمين" (رضا، 1898، ص. 386/34)، وقال عنها محمد البهي (مدير الثقافة الإسلامية بالأزهر سابقا): "ومصدر الخطورة في هذا العمل

هو أن المستشرقين عبّأوا كل قواهم وأقلامهم لإصدار الدائرة وهي مرجع لكثير من المسلمين في دراساتهم على ما فيها من خلط وتحريف وتعصب سافر ضد الإسلام والمسلمين" (البهي، دت، ص. 36).

ـ تعريف المستشرق "وولش":

"t. Welch Alford. "أستاذ دراسات الأديان في جامعة ولاية ميتشجان الأمريكية، حصل على درجة الماجستير في لغة الكتاب المقدس وأدب تاريخ الشرق الأدنى من الكلية اللاهوتية المعمدانية الجنوبية، وحصل على درجة الدكتوراه في الدراسات العربية والإسلامية من جامعة إدنبرغ عام 1970، ويشمل مجال أبحاثه الأديان والتاريخ والدراسات العربية والإسلامية، ومن أبحاثه: "أركان الإسلام"، "المناسبات الإسلامية"، "الله والمخلوقات الماورائية"، "نشوء العقيدة القرآنية في التوحيد" .. (بن قيدة، 2017، ص. 150).

ـ تعريف مادة القرآن في دائرة المعارف الإسلامية:

تولى المستشرق "وولش" كتابة مادة القرآن الكريم والتعريف به في دائرة المعارف، وأعطى لهذه المادة أهمية كبيرة تظهر من خلال توسعه فيها حيث استغرق تعريفه لها من الصفحة 8154 إلى الصفحة 8268 من المجلد السادس والعشرين أي 114 صفحة، مما يجعلها المادة الأكبر حجماً في الموسوعة وبالتالي الأكبر أهمية، وقد قسم المادة إلى عناوين فرعية تناولت مسائل مختلفة مثل التعريف اللغوي والمسار التاريخي والبناء اللغوي والموضوعاتي والبعد التأثيري للقرآن الكريم في حياة المسلمين، إلى آخر مسألة وهي ترجمات القرآن الكريم التي تكفل بإتمامها المستشرق J.D.Pearson، وقسم كل مسألة من هذه المسائل إلى فروعها الدقيقة، وذكر في ختام المادة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها، والملاحظ إيجابياً على هذه المادة استيعابها الكامل والمفصل لمضمونها، وكتابتها بلغة سليمة وتقسيمها منهجياً بشكل مقبول، لكن من حيث ما نراه من الأخطاء والشبهات فقد كانت كثيرة، وما سيتطرق له هذا المقال ما هو إلا نموذج مصغر عنها، بالإضافة إلى تحفظي على نوع المصادر والمراجع، التي وجدت من بينها مصادر إسلامية أصيلة مثل الرسالة للشافعي والمدونة لابن القاسم والمبسوط للسرخسي، والموافقات للشاطبي والمغني لابن قدامة ... لكنها في معظمها مصادر فقهية غير متخصصة في علوم القرآن، ومراجع أجنبية هي كتابات عن القرآن الكريم لبعض المستشرقين الآخرين مثل M.M. Moreno و J.Jomier و A.Querry ... ولم يعرُ "وولش" مادته العلمية إلى هذه المصادر والمراجع على طريقتنا الأكاديمية بإحالة كل نص إلى مصدره مباشرة بعد ذكره، وإنما سرد مادته العلمية في نص واحد مشترك ومطول، ثم ذكر مصادره في النهاية كقائمة منفصلة لا نعرف ماذا أخذ وكما أخذ من كل كتاب، وهذا يسمح بتوقع اعتماده على المراجع الأجنبية أكثر من اعتماده على المصادر الإسلامية.

المحور الثاني: قضايا قرآنية عند وولش: نقد في النصوص.

1 . مصدر القرآن الكريم: قال وولش: "لا توجد إشارة قط إلى مصدر الوحي أو صيغة المتكلم في السور والآيات التي يظهر أنها أقدم ما نزل من القرآن الكريم، ففي بعض الآيات ليست هناك أدنى إشارة إلى أن

هناك رسالة من الله سبحانه وتعالى، انظر على سبيل المثال الآيات من 1 إلى 10 من سورة الشمس، وكذلك القارة والتكاثر والعصر، ونورد هنا الآيات المشار إليها ... وفي بعض الآيات الأخرى يبدو وكأن محمداً هو المتحدث كما في سورة التكويد آية 15_21 وسورة الانشقاق آية 16_19 (الشتتاوي وآخرون، 1998، ص. 8167).

سور الشمس والقارة والتكاثر والعصر التي استشهد بها وولش تتضمن لفقات دالة على أن المتكلم هو الله تعالى يعرفها كل ذي عقل وتدبر، وهي الحديث عن القيامة وأهوالها، وهذا مما لا علم للبشر به، والحديث عن الكون ومخلوقاته العظيمة يأتي في القرآن للاستدلال بالمخلوق على الخالق، وفي سورة التكويد قال تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ} [التكويد: 19 - 21]، وهي دلالة واضحة على أن القرآن الكريم يأتي بواسطة جبريل الأمين من الله تعالى، وفي سورة الشمس قصة الناقة مع ثمود ونبي الله صالح، وهي كذلك مما لا طاقة لمحمد أو غيره من البشر أن يتكلموا بمثله، هذا عن السور التي استشهد بها، أما ما يدل على أن الله تعالى هو مصدر الوحي في القرآن المكي فمن ذلك السورة الثانية في النزول وهي المزملة التي يفهم كل ذي رأس أن المتكلم فيها هو الله تعالى مثل: يَا أَيُّهَا الْمَرْمُلُ (1) فَمِ اللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا (2) {وَأَنَا سَأُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5)} {وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَيَّنَ إِلَيْهِ تَبَيَّنًا (8)}، ومن السورة الثالثة في النزول وهي المدثر قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) فَمُ فَأَنْزِرْ (2) وَرَبِّكَ فَكَبِّرُ {وَذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (11) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (12) وَبَنِينَ شُهُودًا (13) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (14) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (15) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (16)} {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا (31)}... فمن يفهم من الناس أن صاحب النار والملائكة هو محمد أو غيره من البشر؟ إلا "ولش" الذي لا يريد أن يقرأ كل القرآن المكي وإنما يقرأ منه ما يجد فيه وصف الشمس والنجوم والجبال فقط، ثم يستنتج منه حكما عاما على طبيعة المتكلم في كل القرآن المكي الذي بلغ 84 سورة من بين 114 سورة، وبالنسبة للآيات المكية فهي ثلاثة أضعاف الآيات المدنية (الحسن، 2000، ص. 97).

2 . اكتمال نزول القرآن الكريم:

قال "ولش": "ويبدو من بعض الآيات أن ثمة قرآنا آخر لم ينزله الله سبحانه على نبيه، فالقرآن الكريم قد أنزل الله منه جزءا على نبيه والباقي عنده سبحانه، وهذا يمكن أن نخلص به من الآية 82 من سورة الإسراء: {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} (الشتتاوي وآخرون، 1998، ص. 8160). المتأمل في كلام "ولش" لا يجد العلاقة بين مضمونه والآية التي استشهد بها، فالمضمون هو أن القرآن الكريم لم ينزل كله، والآية تقول في الظاهر أن بعض القرآن فيه شفاء للمؤمنين، فكيف يدل هذا على ذلك؟، ويبدو أن الكاتب أراد أن يعبر عن فكرة نقصان القرآن الكريم وعدم اكتماله، ووجد أن هذه الآية جمعت بين نزول القرآن وحرف "من" الدال على التبعية فألصق فكرته فيها مما قد ينطلي على غير العارفين باللغة العربية، فالقرآن الكريم اكتمل نزوله بآية شهيرة عند المسلمين واليهود والنصارى، قال الإمام الشعراوي: "لما

اكتمل نزول القرآن، واكتملت كل المسائل التي تضمن لنا استقامة الحياة، قال تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عنايتكم نعمتي ورزيت لكم الإسلام ديناً} (الشعراوي، 1997، ص. 8375)، لكن "وولش" يقرأ وينقل ما يشاء فقط، أما ما قد يفهم تبعيضاً في الآية من خلال "من" فهذا عند قلة من العلماء، وعند معظمهم أن "من" تفيد معاني أخرى مثل الجنس، أي كل القرآن شفاء (الزحيلي، 1418هـ، ص. 114/15)، والتبيين وابتداء الغاية... قال الإمام الرازي: "من" هاهنا ليست للتبعيض بل هي للجنس... والمعنى ونُزل من هذا الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء. فجميع القرآن شفاء للمؤمنين، (الرازي، 1420، ص. 389/21)، بل إن من العلماء من رأى أن "من" للتبعيض لكن ليس بمعنى جزء دون جزء، قال الإمام الألوسي: "أي تدرج في نزوله شفاء فشفاء وليس معناه أنه منقسم إلى ما هو شفاء وليس بشفاء" (الألوسي، 1415هـ، ص. 138/8)، وبعد هذا، ماذا بقي لكلام "وولش" من الوزن العلمي؟.

3. البيان القرآني:

قال "وولش": "وأحياناً ما يبدو أن بها (الآيات) بناء موسيقياً يشبه النظم كما في الآيات الأولى من سورة المدثر وسورة الضحى... وهذه الآيات القصيرة ذات الإيقاع المعجز من العسير ترجمتها أو تفسيرها بسبب استخدامها للرموز والاستعارات وغير ذلك من سمات اللغة الشعرية"، (الشنتاوي وآخرون، 1998، ص. 8196).

يتضمن هذا النص فكرتين: الأولى: تشبيه الفاصلة القرآنية بالموسيقى الشعرية، والثانية: الصعوبة الكبيرة في تفسير الآيات القصيرة.

1 _ تشابه الفاصلة القرآنية بالموسيقى الشعرية، هذا لا يقوله باحث أكاديمي متخصص إلا إذا غلب عليه تصور مسبق، وقد قرر العلماء الفرق بينما من عدة أوجه أساسية منها:

_ قافية الشعر كان يؤتى بها غالباً محسناً لفظياً لإتمام الكلام، حتى وإن أقحمت إقحاماً، وخرجت عن سياق الكلام، أما الفاصلة القرآنية فهي مرتبطة بسياق الكلام ارتباطاً محكماً، بل هي مفصحة عن معان يفترق السياق إليها ويتطلبها (الجرمي، 2001، ص. 209)، قال الرماني: "الفواصل حروف متشكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، والفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك لأنّ الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها" (الراغب، 2001، ص. 394)، ومن الكتب التي أثبتت هذا الفرق بعدة أمثلة كتاب التفسير البياني لعائشة عبد الرحمن.

_ تعتمد الفاصلة القرآنية على "التنويح" فلا تأتي على نسق واحد، فمنها الطويلة، والمتوسطة، ومنها القصيرة، وبهذا تختلف عن السجع المعتمد على النظام الموحد في حركة حرفه الأخير (الراغب، 2001، ص. 394)، "وخصت فواصل الشعر باسم القوافي لأن الشاعر يقفوها، أي يتبعها في شعره لا يخرج عنها" (زرزور، 1989، ص. 205)، وقال الزرقاني في مناهل العرفان: "الموسيقى تتشابه أجزاسها وتتقارب أنغامها فلا يفتأ السمع أن يملها... والشعر تتحد منه الأوزان وتتشابه القوافي في القصيدة الواحدة غالباً، وإذا طالت على

نمط يورث سامعه السأم والملل، بينما سامع لحن القرآن لا يسأم ولا يمل، لأنه ينتقل فيه دائما بين ألحان متنوعة، وأنغام متجددة" (الزرقاني، دت، 310/2).

_ من المعيب في الشعر أن تتكرر القافية قبل سبعة أبيات، وليس ذلك بعيب في الفاصلة (زرزور، 1989، ص. 205).

2 _ صعوبة التفسير: لا يعسر تفسير القرآن الكريم مكيه ومدنيه إلا على من لم يجمع أدوات تفسيره، مثل "ولش"، قال تعالى في سورة القمر أربع مرات: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ} (17، 22، 32، 40) ليؤكد المعنى، وهو تسهيل قراءته وفهمه وحفظه، كما جاء في تفسير هذه الآية: "فيه ثلاثة أوجه: أحدها: معناه سهلنا تلاوته على كل لسان، وهذا أحد معجزاته، لأن الأعجمي قد يقرأه ويثلوه كالعربي. الثاني: سهلنا علم ما فيه واستنباط معانيه، قاله مقاتل. الثالث: هونا حفظه" (الماوردي، دت، ص. 413/4)، وفي إيجاز البيان: "أعيد ذكر التيسير ليتبين أنه يُسر بحسن التأليف للحفظ كما يسر بحسن البيان للفهم" (النيسابوري، 1415هـ، ص. 781/2)، ومن يرى أن بعض ألفاظ القرآن الكريم صعبة على الفهم هذا بسبب ضعف لغته، ولو أنه أدمن النظر في كتب الغريب والمعاجم وارتقى بملكته اللغوية لما عسر عليه لفظ القرآن كما لم يعسر على الأوائل، ومن هنا تصبح صعوبة القرآن الكريم وكثرة الرمزية فيه مجرد دعوى وحكم مسبق تدل على عدم أهلية قائلها.

4 . ترتيب السور في المصحف:

قال "ولش": "طول السور لم يكن إلا عاملا واحدا من العوامل التي حددت ترتيبها في المصحف، ومن العوامل الأخرى تاريخ نزولها وموضوعاتها الرئيسية ومقدماتها"، (الشنتاوي وآخرون، 1998، ص. 8195). ترتيب السور في المصحف الشريف سواء أكان توقيفيا أم اجتهديا فإنه لم يسلك نظاما محددا في كامل المصحف، ليجعل هذا الترتيب نوعا من الإعجاز وسرا يتبارى في كشفه فطاحلة المحققين ضمن علم المناسبات، وهو العلم الذي يبحث في العلاقات بين السور والآيات، وما نستطيع قوله هو أن لكل سورتين أو ثلاثة رابط موضوعي خاص، ولا يوجد رابط كلي عام كما زعم "ولش"، فلو كان على أساس طول السورة فلماذا تقدمت النساء ب 175 آية على المائدة ب 120 آية، وتقدمت الأنعام ب 165 آية على الأعراف ب 206 آية، وتقدمت الأنفال ب 75 آية على التوبة ب 129 آية...؟، ولو كان على أساس تاريخ نزولها فلماذا لم يبدأ المصحف بسورة العلق المجمع على كونها أول ما نزل من السور، أما كونه على أساس موضوعاتها الرئيسية فهذا غامض جدا، فلو أن "ولش" صاغ لنا نظرية حول علاقة موضوعات السورة بترتيبها في المصحف وقام بتدعيمها بأدلة وتطبيقات لسهّل علينا النظر فيها وتقييمها، لكنه لم يفعل، وهذا يفقد كلمته أي وزن، وإذا لم يصح سبب واحد مما ذكره فكيف تصح تلك الأسباب مجتمعة كما عبر عنه؟.

5 . أسماء السور:

قال "ولش": "وعادة ما يشير كتاب المسلمين إلى السور بأسمائها لا بأرقامها، ولما كانت تلك الأسماء لم تكن قد ثبتت في أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم تكن تعتبر جزءا من النص القرآني، فإن بعض السور أصبحت تعرف بأكثر من اسم واحد ... مما يدل على أن الأسماء قد نشأت في إطار التراث الشفاهي لا المكتوب"، (الشنتاوي وآخرون، 1998، ص. 8195).

يرى الكاتب بأن أسماء السور اجتهادية بدليل وجود عدة أسماء للسورة الواحدة، والاجتهاد في أسماء السور جزء من الاجتهاد في قضايا قرآنية وحديثية وفقهية أخرى، مما يجعل معظم الإسلام مجرد آراء لا تتصل بدليل مادي إلى صاحب الشريعة، وعليه يمكن التحفظ على الإسلام كله، هذا ما يرمي إليه الكاتب ولم يخرج به عن المنهج التطوري الذي قيد حرية النظر وأسر الموضوعية عند الكثيرين.

يجد كل باحث في علوم القرآن الكريم تأكيدا للسيوطي على توقيفية أسماء السور وثبوتها بالأحاديث والآثار سورة سورة، كحديث عكرمة قال: كان المشركون يقولون: سورة البقرة، وسورة العنكبوت، يستهزئون بها فنزل: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ} (السيوطي، 1974، ص. 187/1)، ويستنتج أن "الذي ينبغي التزامه المحافظة على الاسم الوارد وعدم تغييره، فإن في فتح باب جواز التسمية إهدارا لكيان السورة، وما اشتهرت به، وتعمية للجلي الواضح، ووضعه في ثوب من الجهل والخفاء، مما لا يليق وعظمة سور القرآن" (محمد بكر، 1999، ص. 59)، والمسلمون في صدر الإسلام أبعد وأتقى من الوقوع في ذلك.

6 . تعريف السبع المثاني:

قال "ولش": "التفسير الأكثر مواءمة هو أن المقصود بالسبع المثاني هو قصص العقاب التي يرى الباحث "بل" (bell) أنها يمكن أن تشكل معا مجموعة منفصلة عن القرآن" (الشنتاوي وآخرون، 1998، ص. 8166).

السبع المثاني هو أحد أسماء سورة الفاتحة، وتفسيره بقصص العقاب لا أصل له في كتب التفسير، هذه الكتب التي استقرت العشرات منها بمختلف مدارسها ذكرت كل شيء في تفسير السبع المثاني لا ما ذكره "ولش"، فذكرت: سبع آيات في سورة الفاتحة، وقالت: سُمين بذلك لأنهن يثنين في كل ركعة، أو لما فيهن من الثناء على الله تعالى، أو لما فيهن من تنثية "الرحمان الرحيم" وتنثية كلمات أخرى مثل إياك وصراط..، أو لأنها مقسومة على نصفين بين العبد وربّه، فنصفها ثناء ونصفها دعاء، أو لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة، أو لأن الله تعالى استثنىها وأدخرها لأمتّه فما أعطاها لغيرهم، أو لأنها تنثي أهل الشر عن الفسق، أو لأنها تُنثي بما يقرأ بعدها من القرآن في الصلاة، وقيل السبع المثاني هي السبع السور الطوال الأولى، وسمين بذلك لأنهن تُثي فيهن الأمثال والخبر والعبر، وقيل تُثي فيهن القضاء والقصص، وقيل السبع المثاني هي القرآن كله، والمراد بالسبع: سبعة أجزاء أو سبعة أنواع من العلوم وهي التوحيد والنبوة والمعاد والقضاء والقدر وأحوال العالم والقصص والتكاليف، وقيل هي معاني القرآن، وهي: الأمر والنهي والنبوة والبراءة.

والإنذار والأمثال وإعداد النعم والأنباء، وقيل هي سبع كرامات أكرم الله بها نبيه، وهي الهدى والنبوة والرحمة والشفقة والمودة والألفة والسكينة، وقيل هي سبع سور دون الطوال والمئين وفوق المفصل، وقيل هي آل حميم...، هذا كل ما فسروا به السبع المثاني في كتب التفسير، وهو بعيد جدا عما قاله "ولش"، إلا إذا كان قوله الغريب هذا قد اقتبسه من مصدر مجهول فهو يسمى التدليس والانقطاع والاختلاق في العلم، وهو شر مطلق، يتأكد هذا من خلال وصفه بالتفسير الملائم وتذييله بكون قصص العقاب شيء منفصل عن القرآن، نعم يتلاءم تفسيره مع مقصده من استنتاج أن السبع المثاني منفصلة عن القرآن، ودُست فيه كما دسوا فيه غيرها، لكن ما كانت مقدماته باطلة ستكون نتيجته حتما باطلة.

ـ المحور الثالث: الأبعاد المنهجية لأخطاء "ولش":

تتجه نصوص "ولش" الثلاثة الأولى إلى هدف التشكيك في مصدر القرآن الكريم وفصله عن سماويته، إما من خلال نسبته للوضع البشري وتشبيهه بنظم الشعر، أو اعتباره كتابا ناقصا وغير كامل، وهذا يعني فقدته لقداسته وصلاحيته لكل زمان ومكان، وحقيقة هذا الهدف هو صفة لما صارت إليه التوراة والإنجيل، وبالتالي فهو تعبير عن المنهج الإسقاطي الذي خرج الاستشراق من رحمه، والمنهج الإسقاطي هو سلوك نفسي و "حيلة لا شعورية تتلخص في أن ينسب الإنسان عيوبه ونقائصه ورغباته المستكثرة ومخاوفه المكبوتة التي لا يعترف بها إلى غيره من الناس أو الأشياء أو الأقدار أو سوء الطالع تنزيها لنفسه وتخفيفا مما يشعر به" (راجع، 1970، ص.23)، فالإسقاط عملية لا إرادية ولا شعورية يقوم الفرد من خلالها بإعادة توجيه التهم الموجهة إليه ونقائصه إلى غيره، ويصبح من خلالها يرى الآخر ليس كما هو في الواقع، وإنما كما هو في أعماق نفسه من مشاعر غير سارة يريد إفراغها والراحة منها، وللمتقنين حظهم من الإسقاط، لأنهم أبناء بيئة متحكمة فيهم، فإن كانوا أوروبيين مثلا "حاولوا أن يحلوا تاريخ ظهور الإسلام بحسب العقلية الأوروبية فضلوا بذلك ضللا بعيدا، لأن هذا غير هذا، ولأن المنطق الأوروبي لا يمكن أن يأتي بنتائج صحيحة في تاريخ الأنبياء الشرقيين" (أرسلان، 1991، ص.33/1).

ويعبر النص الرابع لولش المتعلق بتفسير ترتيب السور في المصحف عن صفة الانتقائية، وهي منهج يقوم على اختيار نوع من المصادر والمراجع والروايات التي تخدم أفكارا مسبقة وتصورات لا يراد التحقق منها وإنما ترسيخها، وقد رأينا في التعريف بمادة القرآن الكريم في دائرة المعارف اعتماد "ولش" على كتابات المستشرقين السابقين، فليس من المنطق التعريف بالشيء من خلال من لا يعترف به؟ قال المؤرخ الفرنسي شارل فيكتور (1863_1929م): "إذا لم يعرف المرء قبل البدء في عمل تاريخي كيف يحيط نفسه بكل المعلومات الميسرة له، فإنه يزيد بسهولة من مزالق خطر العمل على أساس وثائق غير كافية" (سينيوس، 1981، ص.5)، فيا ليت "ولش" تعامل مع القرآن الكريم كخبر تاريخي فقط، فيكون كلامه قابلا للاحترام.

ويخدم النصان الخامس والسادس المتعلقان بأسماء السور فكرة أن العديد من قضايا الكتاب والسنة أنشأتها الظروف السياسية والاجتماعية الحادثة بعد القرن الأول من حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مواقف

شخصية أراد لها أصحابها أن تلقى القبول فألبسوها صفة العضوية في القرآن الكريم أو صفة الحديث الشريف، والمهم أن معظم ما في الإسلام تطور وتولد عن جزء صغير منه، وهذا ما يسمى بالمنهج التطوري الذي يمثل خلفية ثقافية أساسية للمستشرقين، حيث يعود أصله إلى "شارل داروين" صاحب كتاب الأنواع الذي ألفه سنة 1859م وأتى بفكرة الانتخاب الطبيعي في توالد المخلوقات، أي انتخاب الطبيعة لصفات في المولود سواء أكانت من صفات أحد الوالدين أم من صفات غيرهما، مما يؤدي باستمرار إلى ظهور أنواع جديدة من الكائنات لم يكن لها وجود من قبل، وهذا يعني أن كل الكائنات الحية اليوم بما فيها الإنسان ما هي إلا تطورات من الكائن الوحيد الأول في الوجود وهو الخلية الحية (قطب، 2001، ص. 93)، هذه النظرية التي ضخت دماء جديدة في ظاهرة الإلحاد أدت بالمعجبين بها إلى استنساخها من العلوم الحية إلى العلوم الإنسانية، لكن هذه النظرية تعرضت فيما بعد للهدم من طرف تجارب مندل في علم الموراث، وسقطت عند علماء الأحياء أنفسهم، ورغم ذلك لم تسقط في العلوم الإنسانية بسبب الدعم الكبير من طرف الكنيسة، ثم جاء دور كايمل وعمل بها في مجال الاجتماع، وجاء هريت سبنسر وعمل بها في مجال علم النفس (ديورانت، 1979، ص. 471) إلى أن وصلت إلى المستشرقين في دراساتهم حول الإسلام فقال جولد زيهير: "غير صحيح ما يقال من أن الإسلام في كل العلاقات جاء إلى العالم طريقة كاملة، بل على العكس، فإن الإسلام و القرآن لم يتما كل شيء، وكان الإكمال نتيجة لعمل الأجيال اللاحقة" (زيهير، دت، ص. 44).

يستطيع كل واحد من الناس أن يدعي ما يشاء، لكن لا يستطيع أن يبرهن على كل ما يشاء، ومن يستطيع يأتي بدليل مقنع على المنهج التطوري بعدما علمت الحضارة الإسلامية العالم منهج التواتر والسند في نقل الأخبار، فالقرآن الكريم تواتر كل شيء فيه بنقل الجماعة المستفيضة عن الجماعة المستفيضة الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب أو الخطأ، حتى أصواته وحركات اللسان والشفيتين في نطقه، والحديث الشريف صح بنقل العدول النقات الذين خلا إسنادهم من الشذوذ والعلة من أوله إلى منتهاه، ولا يُقبل من الأخبار غير ما كانت هذه صفته، وعليه فكل حديث عن انقطاع القرآن والسنة عن مصدرهما هو مجرد تناول وإسقاط، كالريح التي تريد أن تهز الجبل.

الخاتمة:

تعريف "وولش" للقرآن الكريم هو رجوع الصدى لمناهج الإسقاط والانتقائية والتطور، وهذه المناهج تتلخص في فكرة بناء الأحكام على مقدمات غير صحيحة، وهذا الأسلوب لا يقبله الباحث الأكاديمي المتخصص، لأنه شيء يميزه عن العامة، وتجنبه يرفع الباحث عن مستوى الجهل والإشاعة إلى مستوى الحقيقة واليقين، ولم يكن تعريف "وولش" للقرآن الكريم من هذا المستوى.

قائمة المراجع:

- الشنتناوي، أحمد وآخرون. (1998م). موجز دائرة المعارف الإسلامية، (ط3). الإمارات: مركز الشارقة للإبداع الفكري.

- راجح، أحمد عزت. (1970هـ). أصول علم النفس. المكتب المصري الحديث، (ط1) الإسكندرية: المكتب المصري الحديث.
- الألوسي، شاب الدين محمود، (1415هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تح: علي عبد الباري عطية، (ط1)، بيروت: دار الكتب العلمية.
- سينوبوس، أنجلو. (1981م). المدخل إلى الدراسات التاريخية، ترجمة عبد الرحمان بدوي، (دط). الكويت: وكالة المطبوعات.
- الجرمي، إبراهيم محمد. (2001م). معجم علوم القرآن، (ط1). دمشق: دار القلم.
- جولد، زيهير. (دت). العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ التطور العقدي والتشريعي. ترجمة علي حسن عبد القادر وآخرون، (ط2)، القاهرة: دار الكتب الحديثة.
- الرازي، محمد فخر الدين. (1420هـ). مفاتيح الغيب، (ط3)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الراغب، عبد السلام أحمد. (2001م). وظيفة الصورة الفنية في القرآن، (ط1)، حلب: دار الدراسات والترجمة.
- الزحيلي، وبة بن مصطفى. (1418هـ)، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنج، (ط3)، دمشق: دار الفكر المعاصر.
- زرزور، عدنان محمد. (1998م). مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، (ط3). دمشق: دار القلم.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم. (دت). مناهل العرفان في علوم القرآن، (ط3). حلب: مطبعة عيسى البابي وشركاؤه.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (1994م). الإتيقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دط)، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- أرسلان، شكيب. (1991م). حاضرم العالم الإسلامي، (ط3). بيروت: دار الفكر.
- لول: ديورانت. (1979م). قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله محمد المشعشع، (ط4)، بيروت: مكتبة المعارف.
- الماوردي، علي بن محمد. (دت). النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. (دط)، بيروت: دارالكتب العلمية.
- إسماعيل، محمد بكر. (1999م). دراسات في علوم القرآن، (ط2). بيروت: دار المنار.
- البهي، محمد. (دت). المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، (دط)، القاهرة: مطبعة جامع الأزهر.
- الحسن، محمد علي. (2000م). المنار في علوم القرآن مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، (ط1)، بيروت: مؤسسة الرسالة الرسالة.
- بن قيدة، محمد. (2017م). مباحث السيرة في دائرة المعارف، دكتوراه، إشراف أ.د. حميد قوفي، (دط)، قسنطينة. جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

- رضا، محمد رشيد. (1315هـ) مجلة المنار. (دط). المكتبة الشاملة.
- قطب، محمد. (2001م). مذاهب فكرية معاصرة، (ط9)، القاهرة: دار الشروق.
- الشعراوي، محمد متولي. (1997م)، تفسير الشعراوي _ الخواطر _ (دط)، القاهرة، مطابع أخبار اليوم.
- العقيلي، نجيب. (1964م)، المستشرقون، (ط3)، القاهرة: دار المعارف.
- النيسابوري، أبو القاسم محمود. (1415هـ). إيجاز البيان عن معاني القرآن، (ط1)، بيروت: دار الغرب الإسلامي.